باب الزراعة والاقتصاد

الضرائب في مصر والاستيازات الاجنبية

حديث لوزير المالية

قال مندوب المقطم : — يشتغل علي ماهر باشا وزير المالية باعداد مشروعات جديدة لنظام الضرائب في مصر تشمل اولاً كيفية جباية هذه الضرائب من سكان البلاد لا فرق في ذلك بين المصريين والاجانب. وثانياً البحث في انشاء ضرائب جديدة للانفاق على المشروعات والاعمال التي تحتاج البلاد اليها. وقد اشار معاليه الى هذه المشروعات في آخر المذكرة التي قدمها الى مجلس الوزراء مع مشروع الاتفاق الذي وضعهُ مع المستر روس مندوب وزارة المالية البريطانية في شأن ديون الجزية وتعويضات الحرب العظمى . ومن حين نشر تلك المذكرة ما فتئت الصحف تلهج بالكلام عن المشروعات العظيمة التي يشتغل وزير المالية باعدادها ولما كان هذا الموضوع من الموضوعات الهامة التي تشغل الرأي العام المصري والاجنبي على السواء رأيت ان اقابل معالي علي ماهر باشا واستوضحهُ بعض المسائل الهامة التي اعتقد انها تعد بمثابة قواعد اساسية او مبادئ جوهرية تقوم عليها مشروعاته فقابلت معاليهِ في ديوانهِ بوزارة المالية وكاشفتهُ بالغاية من زيارتي فقال لي :

« ان هذا الموضوع ليس وليد اليوم كما قد يتبادر الى الاذهان لاول وهلة واظن ان حديثكم عنهُ في الصيف الماضي .ولا اخالني افشي سرًّا اذا قلت لكم اننا ما زلنا ندرس مبادئه الاولية لانهُ لا يخفى عليكم ان موضوعاً كالذي لمالجتهُ الآن ليس من الموضوعات التي يصح أو يستطاع البت فيها بين عشية وضحاها . والذي يحثنا على الاقدام على التفكير في الموضوع الذي نحن بصدده هو شعورنا بان نظام توزيع الضرائب على السكان كما هو في الوقت الحاضر لا يقوم على أساس عادل ولا يرتكز على قواعد الانصاف.فانهُ بينما الحكومة تنفق من خزينتها على مصالح سكان البلاد كلهم بلا تمييز بينهم ولا تفريق فان الذين يدفعون الضرائب الآن هم اصحاب العقارات والاطيان في حين ان اصحاب الثروات المنقولة لا يدفعون شيئاً مع انهُ لا نزاع في ان الثروة المنقولة لا تقل شأناً في هذا الزمان عن الثروة العقارية بل قد تكون أهم منها. ولما كنا نعيش في عصر لا تستطيع فيه الحكومات المستنيرة ان تفرض ضرائب على السكان الا اذا كانت نافذة على المصريين والاجانب على السواء ولما كانت

بعض الاجانب لا يزالون يتذرعون بالامتيازات الاجنبية للامتناع عن دفع كل ضريبة تخرج عن الضرائب العقارية كان ذلك سبباً في غل يد الحكومة المصرية عن القيام بواجبها الى الآن

وهنا سكت معالي الوزير لحظة ثم قال بلهجة جدية صريحة « أما الآن فاني اؤكد لكم ان حسن توزيع الضرائب هو امنية من امانى الحكومة المصرية وذلك بصرف النظر تماما عن المباحث التي تقوم بها لتدبير موارد جديدة لخزينة الدولة »

ثم استأنف معاليه حديثهُ فقال « واستطرد الآن الى الكلام عن مسألة زيادة الموارد في خزينة الدولة فأقول ان الاحصاءات الرسمية تدل على ان ما يصيب كل شخص من سكان هذا القطر من الاموال التي تنفق على الصحة والتعليم لا يتجاوز خمسة وعشرين قرشاً صاغاً في السنة وهذا مبلغ ضئيل لا يكفي لارتقاء المستوى الاجتماعي في البلاد ومما لاريب فيه انهُ اذا اريد تحسين الحالة الاجتماعية بتنفيذ المشروعات الكثيرة كمشروعات الري الكبرى أو مشروعات تغذية القرى بماء الشرب المقطر أو مشروعات رفع مستوى الصناعات كي لا يظل القطن المورد الوحيد لثروة البلاد أو مشروعات تحسين المواصلات المائية والبرية فان الاحتياطي الذي عندنا لا يكفي . اضف الى ذلك انهُ اذا اريد تجديد مباني المصالح الحكومية والمدارس الاميرية او بناء دور جديدة للاستعاضة بها عن الدور المستأجرة الآن فان هذا يقتضي ايضاً نفقات طائلة تضاف الى نفقات المشروعات التي تقدمت الاشارة اليها

ثم انا اذا أنفقنا المال الاحتياطي نخسر بانفاقهِ علاوة عليهِ مالا يقل عن مليونين ونصف مليون جنيه وهو مجموع الفوائد التي تجنيها الحكومة من تشغيل الاحتياطي — فجميع هذه المسائل يتناولها البحث والتفكير الآن الا انها تحتاج الى وقت ليس بيسير لاهميتها وخطورتها »

فقلت لمعالي الوزير « وهل عجمتم عود الحكومة البريطانية وسائر الحكومات الاوربية لمعرفة موقفها في هذا الموضوع وهل عندها اعتراض توجهه اليهِ وما هو نوع هذا الاعتراض »

فقال معاليه انكم تدركون جيداً اني لا استطيع الآن الجواب عن هذا السؤال بصراحة وجلاء لان المسألة ما زالت مطروحة على بساط البحث الاولي ولكن المفهوم هو ان البعض يرى عند البحث في هذا الموضوع انهُ جزء من اجزاء نظام الامتيازات الاجنبية والبعض الآخر يتفادى البحث في هذه النقطة ولكنهُ يثير مسألة اخرى وهي ان الضرائب تحتاج اما الى تشريع مدني او الى تشريع جنائي يضمن نفاذها ويكفل تطبيقها وان جميع

المسائل التشريعية التي تمس الاجانب يجب الحصول على مصادقة الدول المتمتعة بالامتيازات الاجنبية عنها او على الاقل يجب الحصول على موافقة الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة عنها

« ولكن يتضح لكم مما تقدم انهُ اذا كان الموضوع من حيث المبدأ ليس محل نزاع فتكون مسألة سن التشريع اللازم لضمان التنفيذ امراً ثانوياً كثيراً ما واجهت الحكومة المصرية مثله

« على ان الحكومة المصرية واضعة نصب عينيها دائماً تشجيع اليد العاملة الاجنبية وتشجيع رؤوس الاموال الاجنبية في هذا القطر وانهُ تعتبر مما يرفع شأنها ويعزز مكانتها السياسية ان تزداد رؤوس الاموال الاجنبية فيها لانها لا شك تكون دليلاً على عظم الثقة بالامة المصرية وبحكومتها ولذلك لا يعقل ان تعمل عملاً يعرقل التجارة الاجنبية بل انها تريد تشجيعها وتنمية وسائلها ونحن في مقدمة من يقدر اهمية الاعمال العظيمة التي عملها الاجانب في مصر مما كان لهُ أثر كبير في كثير من نواحي تقدمها وعمرانها الحديث »

فقلت لمعالي الوزير « وهل ينتظر ان يتم تنفيذ شيء من مشروعات الضرائب قريباً »

فقال « المفروض ان المسألة معهدة من الوجهة السياسية لان الحكومة سالكة فيها سياسة الاعتدال ومن شأن هذه السياسة ان تؤدي حتماً الى الاتفاق واني استطيع ان اصرح لكم من الآن بانهُ ليس هناك اعتراض على المسائل المتعلقة برسوم الحفر والسيارات والجمارك من حيث المبدأ وان البحث لن يدور الا على الامور التفصيلية الخاصة بكيفية تقدير الرسوم والضرائب وكيفية تطبيقها وضمان نفاذها . وغني عن البيان ان جميع هذه المسائل تحتاج الى وقت لاعداد المباحث المرتبطة بها والانتهاء من الاستشارات والمحادثات المتعلقة بها »

فسألت معاليه عن مشروعات الضرائب الجديدة التي وردت في مذكرته عن المفاوضات المالية وهي ضريبة التمغة وضريبة التركات وضريبة المهن فاجاب « ان هذه مشروعات جديدة درستها وزارة المالية والضريبتان الاوليان مأخوذتان عن نظام الضرائب في بريطانيا العظمى

« وأما ضريبة المهن فمأخوذة عن نظام الضرائب في فرنسا على ان الملحوظ في اعداد هذه المشروعات ان قيمة الضرائب خفضت كثيراً عن مثيلاتها في اوروبا علاوة على ان الاموال التي اعفيت من دفع الضريبة ارفع جداً من نظائرها هناك. ففي انجلترا مثلاً لا يعفى الايراد السنوي الا اذا كان اقل من ١٢٠ جنيهاً في حين أن المشروع المصري يعفي

الايراد من الضرائب لغاية ٥٠٠ جنيه ويعفي المتركات من الضرائب لغاية ٥٠٠٠ جنيه

« وعلى كل حال ان عملنا في ما يتعلق بانشاء ضرائب جديدة لن يكون سوى مجرد اعداد مشروعات وتجهيزها حتى اذا عاد البرلمان الى استئناف اعماله عرضت عليه لبحثها واقرارها

واما المسائل التي لا تحتاج الى موافقة البرلمان عليها للشروع في تنفيذها واعني بها مسائل رسوم الحفر والسيارات والجارك فيشرع في تنفيذها حال الاتفاق على تفاصيلها نهائياً »

اللستك او الكاوتشوك او الصمغ المرن او المطاط

يحار الكاتب او المترجم باية كلمة من هذه الكلمات يعبر عن مادة اصبحت في ايامنا هذه من اهم المواد الصناعية ومورد من اكبر الموارد التجارية. وحبذا لو اهتم ابناء العرب بضبط الالفاظ المعربة والتي تدعو الضرورة الى تعريبها احياناً ولو من قبيل الاصطلاح والعرف. اما الانكليز فيسمونهُ انديا رابر او كوتشوك وتقول دائرة معارفهم ان هذه الكلمة ربما تكون مشتقة من كلمة كاوتشا او كاوتشو كما يعبر اهالي الاكوادور ويبرو عن المطاط والشجر الذي ينتجهُ. ويتكوَّن المطاط من لبن نباتي يستقطر من عدة انواع من الاشجار ونسبة المطاط الى اللبن تختلف باختلاف نوع الشجر والتربة التي ينمو فيها وتتفاوت من عشرين الى خمسين في المئة وهذا اللبن ليس العصارة التي تدور في الشجر وتغذيهِ وتنميهِ وحتى الآن لم يتحقق الناس من وظيفته الحقيقية لان حياة الشجرة لا تتوقف عليهِ اما الاشجار التي تفرز لبن الكوتشوك بكثرة فافضلها نوعان هما: « ابو سينا سيا » « واسكلا يادا سيا » ويستقطر اللبن عادة من قشر الشجر او جذوعها بحزها حزاً عميقاً يكاد يبلغ خشبها وهذا اللبن الباني يشبهُ لبن الحيوان وعند ما ينظر اليهِ بالمكرسكوب تبدو فيهِ كريات مستقلة طافية في السائل وهذه الكريات هي التي تتجمع تدريجاً وتتحول الى كاوتشوك ويتسنى تعجيل هذا التحول بوضع اللبن في آلة فرازة كالآلة التي تفرز القشدة من لبن الحيوان ثم تعرض القشدة لدرجة معلومة من الحرارة او تحرك او يضاف اليها بعض الاحماض او بعض المواد القلوية او القابضة فتتخثر وينفصل الكاوتشوك عن المواد الاخرى وقد يجري هذا التفاعل ايضاً تدريجاً اذا عرضت للهواء. واذا اضيف قليل من محلول النشادر او الفورمالين الى اللبن يتسنى حفظهُ مدة طويلة في حالته الطبيعية. اما طبيعة التخثر في هذا اللبن فلم تدرك تماماً حتى الآن. ويعتقد البعض انهُ من قبيل تخثر لبن الحيوان او اشبه بجمود الدم

اكتشف العالم المتمدن الكوتشوك بعيد اكتشاف اميركا فقد لوحظ ان هنود اميركا

الحر يلصون بكرة مرة مطاطة وجد فيما بعد ان لها مزية مسح كتابة قلم الرصاص عن الورق فكان اول استعمال الكوتشوك تجاريًا لهذه الغاية اذ شرع في صنع مسّاحات منهُ وهذا ما حدا الانكليز والاميركان الى تسميته « انديا رابر » اي المساحة الهندية . ولم تكتشف الاشجار التي تنتج الكوتشوك حتى اواسط القرن الثامن عشر وتعلمها بعثة الطوافين الفرنسيين . فاكتشف المسيو لاكوندمين طبيعة الشجرة المعروفة الآن باسم « هانيا برازيليئسس » التي استخرج منها كوتشوك بارا الذي كان يرد من اميركا الجنوبية. وبعد ذلك بزمن وجيز اكتشف المسيو فرازو والمسيو اوبلا الشجرة المعروفة باسم « ادنوريباسوس » التي استخرج منها كاوتشوك جويانا

اما الطريقة التي يستعملها اهالي المكسيك وهنود اميركا لاستقطار لبن الكوتشوك فهي طريقة اولية ولكنها لا تزال مستعملة حتى الآن مع قليل من التعديل

كان الكاوتشوك الى عهد قريب لا يستخرج الا من غابات المناطق الاستوائية باميركا الجنوبية واميركا الوسطى ومن شرق افريقية وغربها ومن اسيا من اشجار وعرائش تنمو في الغابات من تلقاء نفسها . ولكن ازدياد الطلب على الكوتشوك الذي نجم عن استعماله لمجلات السيارات والدراجات وادوات اخرى كثيرة حدا الناس الى زيادة السعي لاستخراجه وكانت النتيجة ان كثيراً من اشجاره وعرائشه ابيدت من سوء الاستعمال وطريقة البذل واتفق ان مساحات كبيرة ولاسيما في جنوبي السودان اصبحت خالية من هذه الاشجار النظيفة الفائدة . فأدى ذلك الى اصدار قوانين وقيود تحصر المواسم والطرق التي يستقطر فيها لبن الكوتشوك وتفرض وجوب زرع عرائش اخرى بدلاً من التي تتلف وفي بعض المناطق لا يصرح استخراج اللبن الا في مدد دورية . على ان هذه التدابير التي تجري الآن في مستعمرات افريقية الفرنسوية والكنغو البلجيكية تقتضي نفقات طائلة لتنفيذها بتعيين حراس ومفتشين لهذه الغاية وما هي الا تمهيدات اولية ربما يتسنى انشاء مزارع خصوصية لشجر الكاوتشوك التي يمكن مراقبتها والتحكم فيها بسهولة

وقد حلَّ بغابات اميركا الجنوبية واميركا الوسطى مثل هذا الأذى فاتلفت اشجار كثيرة جدًّا . وكثيراً ما كان طلاب الكوتشوك يقطعون فروع الاشجار للحصول على كميات وافرة من اللبن نظراً لارتفاع اسعار الكاوتشوك ارتفاعاً عظيماً وادى ذلك الى تشديد المراقبة لصيانة الاشجار من التلف وسوء الاستعمال وشرع في غرس اشجار جديدة في مساحات مترامية الاطراف . ولا يزال الكاوتشوك الناتج من الاشجار البرية

في اميركا اكبر مورد لتجارة العالم وسيظل كذلك عدة سنين اخرى

ان طلب الكاوتشوك قد زاد زيادة عظيمة في اسواق العالم وربما ظلت الزيادة مستمرة نظراً لكثرة الادوات التي تصنع منه وقد ادى هذا الى زيادة الاهتمام بزروع شجر الفستك وادخاله الى بلدان لم يعرف فيها قبلاً ولا سيما جزيرة سيلان وشبه جزيرة الملاي واوخيلها حيث ادخلت اشجار كاوتشوك بارا المعروف باسم هفانيا برازيليانسس فنجحت كل النجاح . وهناك الآن مزارع كثيرة لم يكن لها وجود منذ عشرة او خمسة عشر عاماً تنتج كميات كبيرة من الكاوتشوك الذي يباع في اسواق العالم ويعرف بكاوتشوك المزارع وهو خلاف الكاوتشوك البري . وكثيراً ما يباع كاوتشوك بارا انتاج المزارع باسعار تعادل كاوتشوك باره البرازيلي احياناً بل كثيراً ما تربي عليها والسبب في ذلك يرجع الى حسن العناية بتحضير الكاوتشوك في مزارع سيلان والملاي واستعمال طرق علمية راقية لتنظيفه وتكريره من الادران التي تعلق به عادة ولكن نلحظ ان مزية المط والتقلص في الكاوتشوك البري اقوى مما هي في كاوتشوك المزارع ويعزى السبب الى ان الكاوتشوك البري تدخله ادران ومواد غريبة تزيد فيه تلك المزية ويذهب البعض الى ان السبب هو لان اشجار الغابات اقدم عهداً من اشجار المزارع ويبلغ معظمها من الثلاثين الى الخمسين من العمر . ومعروف ان اشجار كاوتشوك باره التي تنمو في المزارع وتنتج نوعاً راقياً جداً من الكاوتشوك اذا استقطر لبنها قبل السنة السادسة او السابعة من عمرها وهناك ادلة عدة على ان نوع الكاوتشوك يتحسن كلما تقدمت اشجاره في العمر فينتظر والحالة هذه ان يتحسن نوع كاوتشوك المزارع مع الوقت حتى يبلغ درجة المطاط البري في قوة مطه (لها بقية) سليم خوري

الدكتور صروف وفن الزراعة

مراقبة السيد الكيلاوي

من مقالة في السيد الكيلاوي ومراقبة الحكومة افتتحها بقوله : —

ان السيد الكيلاوي مظلة الغش ويجب ان يكون بين دوائر الحكومة دائرة خاصة بتحليله . . . . وتطبع اوراق تلصق على كل شوال تبين فائدتهُ لنوع الزراعة الفلانية والارض والمايساوي الخ واختتمها بقوله فلا بد للحكومة نائبة الامة ان تراقبهُ اشد مراقبة اه وقد تحقق بعض ما اقترح رحمهُ الله باصدار الحكومة لقانون الاسمدة

زراعة القطن

ومن مقالة في زراعة القطن بدأها بذكر قلة محصول القطن في موسم حاضر عن موسم سابق بنحو ٣٠ ٪ او اكثر قال . . . ويظهر لنا ان الاسباب التي تزيد محصول القطن أو تقلله لم يزل اكثرها سراً غامضاً فقد رأينا اطياناً من نوع واحد من التربة او من انواع مختلفة زرعت كلها من نوع واحد من التقاوي المأخوذة من زراعة واحدة فترى عند الزارع الواحد في الحوض الواحد فداناً يغدر محصوله بخمسة قناطير او ستة وفداناً لا يزيد محصوله على قنطارين الاول شجر قطنه قصير كثير الفروع كثير اللوز وقد نضج كله والثاني شجره طويل شديد النمو اخضر الورق غصنه قليل اللوز لم يفتح الا القليل من لوزه . والغيط القصير الشجر الكثير اللوز تكون حواشيه في الغالب طويلة الشجر شديدة الخصب قليلة اللوز حتى ان طول بعضها يبلغ مترين وتفرعات اغصانه تبلغ نحو ثلثي المتر من كل جهة فتتشابك اغصان الاشجار بعضها بعض اشتباكاً يمنع المرور لجنبها فما هي الاسباب التي دعت الى هذا الاختلاف العظيم مع تساوي الارض والتقاوي والسماد والخدمة

أيحتمل ان يكون السبب في اوقات الري ومقدار المياه . فان اوقات الري لا يمكن ان تكون واحدة في كل الغيطان ولا في الغيط الواحد لان بعضها يروى في الساعة الاولى من النهار وبعضها في الثانية وبعضها في الثالثة وهلم جرًّا . بعضها يروى نهاراً وبعضها يروى ليلاً . بعضها في ساعة الحر الشديد وبعضها قبل شروق الشمس او بعد غيابها . بعضها يروى وقد تشققت ارضهُ من شدة العطش وبعضها يروى قبل ذلك وبعضها يروى والسماء غائمة والظلال كثيرة على الارض وبعضها يروى والسماء صافية والشمس محرقة

واوقات الزرع لا يحتمل ان تكون واحدة فالفلاح يضطر ان يزرع اطيانه في عدة ايام لا في يوم واحد حسب سعتها وتوفر المال وماء الري . وقد يجود المبكر اكثر من المتأخر او يجود المتأخر اكثر من المبكر . ورأينا غيطين زرع احدهما قبل الآخر بنحو ثلاثة اسابيع لكن برد الهواء بعد ما زرع فتلف بعض زرعهِ ورقع مرتين وتأخر كثيراً اما المتأخر فنما سريعاً وسبق المتقدم فجنى بكيراً . ولكن جاء محصولهُ ضعيفاً لم يُجنَ من الفدان اكثر من ثلاثة قناطير ونصف قنطار واما المتقدم فتأخر جنيهُ ويقدر محصولهُ بنحو خمسة قناطير (الى ان يقول) فما هي الفواعل الطبيعية التي جعلت المحصول الحاضر في تلك الاطيان اقل من المحصول السابق بنحو ٣٠ ٪ او اكثر وليس هناك دود ورق ولا دود لوز ولا قلة في ماء الري ولا زيادة فيها ولا اهمال في انتقاء التقاوي او خدمة الارض

« الى ان يقول » هذه امور احق بالدرس والبحث من كل ما يتعلق بالوراثة وناموس متندل فعسى ان تلقى من اهتمام الباحثين في هذا الموضوع ما هي حقيقة به » اه

فهذا بيان بديع لاحدى مشاهداته الزراعية يدل على دقة الملاحظة وقوة الانتباه وسعة الادراك وخصب الامنية فانهُ بعد بضع سنين من قوله في مشاهدته السابقة « ان الاسباب التي تزيد محصول القطن او تقلله لم يزل اكثرها سراً غامضاً » اتضح ان للاوقات تشريق الارض وطرائقه اثراً مهماً في زيادة محصول القطن او قلته كما فصل في النشرة الفنية رقم ٤٧ من نشرات وزارة الزراعة المصرية

وقد كان اول من وصف النمل الذي يأكل ديدان ورق القطن ولطمها « بيوضانها » وعنهُ اخذت مجلة وزارة الزراعة هذا الوصف

ولمعرفته بندرة المؤلفات والابحاث الزراعية وضيق انتشارها بين الجمهور حتى كاد يكون عدماً كان حريصاً على الاستفادة من كل ما تصل اليه يده منها فبينما تراهُ يقتبس ما يناسب اقتباسه الآن من كتب الفلاحة العربية القديمة تراهُ يترجم لنا افيد التجارب الحديثة عن اللغات الاوربية . كذلك كان حريصاً على افادة الزراع بما يناسب طبقاتهم المختلفة سألتهُ مرة عن كتاب زراعي قديم ومحتوياته وكنت اظن انهُ سيسهل عليه تعرفهُ ولكن علمت من مجاوبته لي عنهُ انهُ قضى في سبيل ذلك بضع ساعات في الكتبخانة المصرية وكتب مرة بحثاً زراعيًّا مبنيًّا على احصاآت دقيقة مشروحة باسهاب فاشار علي باختصاره لتكون تتائجهُ العلمية قريبة من متناول الجمهور

ومن ابحاثه الزراعية ابحاث في خصب التربة واتقان وسائل الفلاحة وازكاء المزروع حاصلات كانت او فواكه او خضروات واستجلاب البزور الاجنبية وتوطينها وترقية صناعة الالبان وترقية الطيور ومقاومة الحشرات وتحسين الماشية وتأصيلها وتسمينها حتى يحيء كل نوع منها كما يجب ان يكون — ومن ابحاثه الاقتصادية المهمة — ارخاء عام لولا الدين — الملك المستأجر — ربط الايجار عيناً — كيف يحفظ سعر القطن — زراعة القطن وزراعة الحبوب — الخ

فعسى ان يقوم قلم محرر المقتطف باستخلاص اهم هذه الابحاث لاسيما ما تفرَّد المرحوم بوضعه او ترجمته او امتاز بتحقيقه واجادة تبيينه — وتسميقها ونشرها في كتاب مستقل لتسهيل الاستفادة منها على قراء المقتطف وتعميمها بين غيرهم من جمهور القراء بل بين قراء المقتطف المحدثين وفي مثل هذا العمل تجديد لمجهوداته في خدمة الفنون الزراعية بين النشأة الحديثة

أحمد الالفي